

## التحرير والتنوير

والصفح : العفو . وقد تقدم في قوله تعالى ( فاعف عنهم واصفح ) في سورة العقود . وهو مستعمل هنا في لازمه وهو عدم الحزن والغضب من صنيع أعداء الدين وحذف متعلق الصفح لظهوره أي عمن كذبك وآذاك .

والجميل : الحسن . والمراد الصفح الكامل .

ثم إن في هذه الآية ضربا من رد العجز على الصدر إذ كان قد وقع الاستدلال على المكذابين بالبعث بخلق السماوات والأرض عند قوله ( ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا ) الآيات . وختمت بآية ( وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ) إلى قوله تعالى ( وإن ربك هو يحشرهم ) .

وانتقل هنالك إلى التذكير بخلق آدم " عليه السلام " وما فيه من العبر . ثم إلى سوق قصص الأمم التي عقبته عصور الخلقة الأولى فآن الأوان للعود إلى حيث افترق طريق النظم حيث ذكر خلق السماوات ودلالته على البعث بقوله تعالى ( وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ) الآيات فجاءت على وزن قوله تعالى ( ولقد جعلنا في السماء بروجا ) الآيات . فإن ذلك خلق بديع .

وزيد هنا أن ذلك خلق بالحق .

وكان قوله تعالى ( وإن الساعة لآتية ) فذلكه لقوله تعالى ( وإنا لنحن نحيي ونميت ) إلى ( وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ) فعاد سياق الكلام إلى حيث فارق مهيعه . ولذلك تخلص إلى ذكر القرآن بقوله ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني ) الناظر إلى قوله تعالى ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) .

وجملة ( إن ربك هو الخلاق العليم في موقع التعليل للأمر بالصفح عنهم أي لأن في الصفح عنهم مصلحة لك ولهم يعلمها ربك فمصلحة النبي A في الصفح هي كمال أخلاقه ومصلحتهم في الصفح رجاء إيمانهم فالخلاق لكم ولهم ولنفسهم وأنفسهم العليم بما يأتيه كل منكم وهذا كقوله تعالى ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أن اعليم بما يصنعون ) .

ومناسبته لقوله تعالى ( وإن الساعة لآتية ) ظاهرة .

وفي وصفه ب ( الخلاق العليم ) إيماء إلى بشارة النبي A بأن اخلق من أولئك من يعلم أنهم يكونون أولياء للنبي A وهم الذين آمنوا بعد نزول هذه الآية والذين ولدوا كقول النبي A : ( لعل اخلق من أصلابهم من يعبده ) .

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان في أيام الجاهلية من المؤذنين للنبي A :

دعاني داع غير نفسي وردني ... إلى ا□ من أطردته كل مطرد يعني بالداعي النبي A .  
وتلك هي نكتة ذكر وصف ( الخلاق ) دون غيره من الأسماء الحسنى .

فيه بما إلا يأمره لا أمره ومدبر ربه هو الذي أن إلى للإشارة ( ا□ إن ) إلى والعدول A E  
صلاحه ولا يقدر إلا ما فيه خيره .

( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم [ 87 ] ) اعتراض بين جملة ( فاصف  
الصفح الجميل ) وجملة ( لا تمدن عينيك ) لآية .

أتبع التسلية والوعد بالمنة ليذكر ا□ نبيه A بالنعمة العظيمة فيطمئن بأنه كما أحسن  
إليه بالنعمة الحاصلة فهو منجزه الوعود الصادقة .

وفي هذا الامتنان تعريض بالرد على المكذبين . وهو ناظر إلى قوله ( وقالوا يا أيها الذي  
نزل عليه الذكر إنك لمجنون ) إلى قوله تعالى ( وإنا له لحافظون ) .

فالجمل على الجمل السابقة عطف الغرض على الغرض والقصة على القصة . وهذا افتتاح  
غرض من التنويه بالقرآن والتحقير لعيش المشركين .

وإيتاء القرآن : أي إعطاؤه وهو تنزيله عليه والوحي به إليه .

وأوثر فعل ( آتيناك ) دون ( أوحينا ) أو ( أنزلنا ) لأن الإعطاء أظهر في الإكرام والمنة

وجعل ( القرآن ) معطوفا على ( سبعا من المثاني ) يشعر بأن السبع المثاني من القرآن

. وذلك ما درج عليه جمهور المفسرين ودل عليه الحديث الآتي